

برنامج الدرس الواحد

تطريز

الإخلاص والنية

تصنيف الحافظ

أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

المتوفى سنة (٢٨١) رحمه الله تعالى

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى






تطريز

الإخلاص والنية






تطريز
الإخلاص والنية

تصنيف الحافظ

أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

المتوفى سنة (٢٨١) رحمه الله تعالى

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى







بسم الله الرحمن الرحيم

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com







الحمد لله ربِّنا، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعدُ:

فهذا هو (**الدَّرس التَّاسع عشر**) من (**برنامج الدَّرس الواحد الثَّاني**)، والكتاب المقروء فيه هو «**الإخلاص والنِّيَّة**»، للحافظ ابن أبي الدُّنيا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وقبل الشُّروع في إقرائه لا بُدَّ مِن ذِكْر مُقدِّمتين اثنتين:







المُقَدِّمَةُ الأولَى: التّعْرِيفُ بالمُصَنِّف

وتنتظمُ فِي ثلاثة مقاصدَ:

- **المقصد الأوَّل: جَرُّ نَسَبِه:**

هو الحافظ الزَّاهد المُؤدِّب عبد الله بنُ محمَّدِ بنِ عُبَيْدٍ القُرَشِــيُّ. يُكْنَى بـــــ (أبي بكرٍ). ويُعرَف بـ (ابن أبي الدُّنيا)، وبه اشتهرَ.

- **المقصد الثَّانِي: تاريخ مولده:**

وُلِدَ في السَّنة الثَّامنة بعد المائتين (٢٠٨).

- **المقصد الثَّالث: تاريخ وفاته:**

تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جُمادى الأُولى لأربعَ عشْرةَ ليلةً خَلَت منه في سنة إحدى وثمانين ومائتين (٢٨١)، ولَهُ من العُمر ثلاثٌ وسبعون (٧٣) سَنَةً؛ فرَحمه الله رحمةً واسعةً.









المُقَدِّمَةُ الثَّانيةُ: التَّعْرِيفُ بِالمُصَنِّف

وتنتظم فِي ثلاثةِ مقاصدَ أيضًا:

- **المقصد الأوَّل**: تحقيق عنوانِه:

ذَكَر غيرُ واحدٍ مِن أهل العِلْم هذا الكتابَ في جملةِ تصانيف ابنِ أبي الدُّنيا بِاسْم: «الإخلاص والنِّيَّة»، وهو الاسم الَّذي حمَلَتْه نُسختُه الخَطِّيَّة، وبه طُبِعَ.

غَيرَ أَنَّ هناك نُقولًا من الكتاب لم تُوجَد في هذه النُّسخة؛ فإِمَّا أَنْ تكون هذه النُّسخة ناقصةً، أو يكون هذا مِن اختلاف الرِّوايات.

- **المقصد الثَّانِي**: بيانُ موضوعِه:

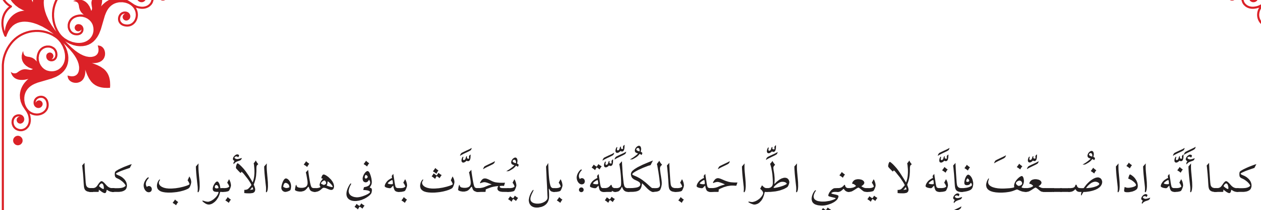
موضوع هذا الكتاب: بابٌ من أبواب مُعاملات القُلوب عظيمٌ؛ وهو الإخلاص والنِّيَّة في الحَرَكات والسَّكنات، والأقوال والأفعال.

- **المقصد الثَّالث**: توضيحُ منهجه:

اعتمد المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى منهجَ الرِّواية المُسنَدَة؛ فهو يُثبِت المَروِيَّاتَ بأسانيدِه، ناظمًا للمرفوع والموقوف في عِقْدٍ واحدٍ، دون تَمييزٍ بينها، ولا كلامٍ على رُتَبِها ورُواتِها.

ومِمَّا يُنَبَّه إليه: أَنَّ الآثار والقِصَص المنقولة في أخبار الزُّهد والرَّقائق وأحوال القلوب ومُعاملاتِها، لا يُتَشَدَّد في نَقْدِها؛ إِلَّا إذا كان في الخبَر شيءٌ مُنكَرٌ فإِنَّه يُتَشَدَّدُ في نَقْدِه.



كما أَنَّه إذا ضُعِّفَ فإِنَّه لا يعني اطِّراحَه بالكُلِّيَّة؛ بل يُحَدَّث به في هذه الأبواب، كما عليه عَملُ السَّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى.

ومَنْ وَجَدَ شيئًا من الآثار والقصص في هذه الأبواب لا يلزمُه أَنْ يطلبَ أسانيدَها؛ فإِنَّ أسانيدَ الحكايات والقصص والآثار الموقوفة والمقطوعة في أبواب الزُّهد والرَّقائق والوقائع التَّاريخِيَّة إِنَّما هو زينةٌ لها، كما ذَكَره الخطيب البغداديُّ في «الجامع».

فينبغي لطالب العِلْم أَنْ يُفَرِّق بين هذا المَقام وبين غيره من المَقامات؛ لأَنَّه مَقامٌ جَرى فيه السَّلف على الحال الَّتي أَشرْنا إليها.






[بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ]

١ - حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الهَرَوِيُّ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الجَبَّارِ أَبُو مُعَاوِيَةَ السِّنْجَارِيُّ - ابْنُ أُخْتِ عُبَيْدَةَ بْنِ حَسَّانَ -، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدَةُ بْنُ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الحَمِيد بْنِ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ - مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ جَدِّي قَالَ: شَهِدْتُ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَجْلِسًا فَقَالَ: «**طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ؛ أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الهُدَى، تَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ**»[1].

٢ - حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ النِّبَاجِيَّ يَقُولُ: «خَمْسُ خِصَالٍ بِها تَمَامُ العَمَلِ: الإِيمَانُ - بِمَعْرِفَةِ اللهِ -، وَمَعْرِفَةُ الحَقِّ، وَإِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، وَالعَمَلُ عَلَى السُّنَّةِ، وَأَكْلُ الحَلَالِ؛ فَإِنْ فُقِدَتْ وَاحِدَةٌ لَمْ يَرْتَفِعِ العَمَلُ؛ وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ اللهَ وَلَمْ تَعْرِفِ الحَقَّ: لَمْ تَنْتَفِعْ، وَإِذَا عَرَفْتَ الحَقَّ وَلَمْ تَعْرِفِ اللهَ: لَمْ تَنْتَفِعْ، وَإِنْ عَرَفْتَ اللهَ وَعَرَفْتَ الحَقَّ وَلَمْ تُخْلِصِ العَمَلَ: لَمْ تَنْتَفِعْ، وَإِنْ عَرَفْتَ اللهَ وَعَرَفْتَ الحَقَّ وَأَخْلَصْتَ

(١) إسناده ضعيفٌ جِدًّا.

وما اشتمَل عليه مِن أَنَّ (أهلَ الإخلاص أقربُ النَّاس إلى النَّجاة من الفتن): حَقٌّ صريحٌ؛ لأَنَّ **الخلاصَ على قَدْر الإخلاص**؛ فمَنْ أَخْلَصَ لِربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هَداه الله عَزَّ وَجَلَّ صراطًا مستقيمًا.

فمَنْ أخلَصَ خَلُص، ومَنْ لَطَّخ قَلْبَه بِنِيَّاتٍ فاسدةٍ أَظْلَمت عليه الطَّريقُ؛ فلم يَهْتدِ إلى الحَقِّ في الفِتَن المُدْلَهِمَّة المُظلِمة.

العَمَلَ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى السُّــنَّةِ: لَمْ تَنْتَفِعْ، وَإِنْ تَمَّتِ الأَرْبَعُ وَلَمْ يَكُنِ الأَكْلُ مِنْ حَلَالٍ: لَمْ تَنْتَفِعْ» (١).

٣- **حَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ؛ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْــحَاقُ بْنُ سُــلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: «عَلَامَةُ الدِّينِ: الإِخْلَاصُ للهِ، وَعَلَامَةُ العِلْمِ: خَشْــيَةُ اللهِ» (٢).

---

(١) **فلا يَكْمُل عَمَلُ العبد إلَّا بتحصيل هذه الأُمور الخمسة؛ فإنَّ العبد:**

مُحتاجٌ أَوَّلًا: إلى معرفة رَبِّه؛ وهذه المعرفة تكون بالإيمان به.

ومُحتاجٌ ثانيًا: إلى معرفة أَمْرِه؛ ولا يُمكِنُه معرفةُ أَمْرِه إلَّا بمعرفة الحقِّ.

ومُحتاجٌ ثالثًا: أَنْ يكون في كُلِّ عَمَلٍ يُؤدِّيه مُخلِصًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومُحتاجٌ رابعًا: إلى أَنْ يكون عملُه الَّذي يعمَله مُوافِقًا لسُنَّة النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ يحتاج خامسًــا ليُقام على هذا الطَّريق: إلى أَنْ يُخَلِّص مَطْعمَه من الحرام؛ فإنَّ للحرام أثرًا في النُّفوس؛ يَجُرُّها إلى مَهاوِي الرَّدَى في الدُّنيا والآخرة.

(٢) إسنادُه صالحٌ.

والمراد بــ (الإسناد الصَّالح): الإسنادُ الَّذي يُحجِم النَّاقد عن وَصْفه بــ (الحُسْن)؛ فيُنزِلُه إلى رُتبةٍ أَدْنى منه، وهي حُكْمُه عليه بأنَّه إسـنادٌ صـالِحٌ؛ فهو مرتَفِعٌ عن الضَّـعْفِ ارتفاعًا يسيرًا.

ومعنى قولـه: («عَلَامَـةُ الـدِّينِ: الإِخْلَاصُ للهِ»)؛ يعني علامةُ الصِّـدْقِ في التَّأَلُّـه والتَّنَسُّك: أن يكون العبدُ في أفعالِه وأقواله قاصدًا وَجْهَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. =

= وتَقَدَّم أَنَّ **حقيقة (الإخلاص)**: هي تَصفيةُ القَلبِ من إرادة غير الله.

فقولُنا: (تَصفية القلب): مَبْنِيٌّ على معنى (الإخلاص) في اللُّغة؛ فإِنَّ أصلَ (تخليص الشَّيء): يعني تَصفيتَه.

وقولنا: (القلب) لأَنَّه مَحَلُّه.

وقولنا: (من إرادة غير الله): يعني بِحَيث لا يكون فيه التفاتٌ إلى سِوى وجهِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والعبد إذا أَقْبَل بقلبِه على رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُخلِصًا في أعماله، كَفَاه الله عَزَّوَجَلَّ وُجُوهَ النَّاس.

ومِن لطيف ما يُذْكَر في هذا الباب: بَيتٌ أَنْشَدَناه شيخُنا الشَّيخُ سليمانُ السُّكَيِّت رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - رئيس قُضاة حائل -؛ يقول:

اعْمَلْ لِوَجْهٍ وَاحِدِ   يَكْفِيكَ كُلَّ الأَوْجُهِ

فمَنْ عَمِل لِوجه الله عَزَّوَجَلَّ، كَفاه الله عَزَّوَجَلَّ بَقِيَّة الوجوه.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: («وَعَلَامَةُ العِلْمِ: خَشْيَةُ اللهِ»)؛ يعني أَنَّ العِلْمَ ليس بكثرة المَرْوِيَّات، ولا ازدحامِ المعلومات، وإِنَّما بشيءٍ يكون في القلب يُوجِبُ للعبدِ تعظيمَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والانقيادَ لأمرِه، والانْزِجارَ عن نَهْيِه.

فمَنْ وَجَدَ هذا فَقَدْ وَجَدَ العِلْم، ومَنْ لم يَجِدْ هذا فلم يَجِدِ العِلْم.

سُئِل الإمام أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: هل كان مع معروفٍ الكَرْخيِّ شيءٌ مِن العِلْم؟ فقال: «نعم؛ كان معه أصلُ العِلْم: خشيةُ الله». =

٤ - **حَدَّثَنَا** سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، وَغَيْرُهُمَا؛ قَالُوا: حَدَّثَنَا جَرِيرُ ابْنُ عَبْدِ الحَمِيدِ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي ثُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ الحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الإِخْلَاصُ للهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَعْمَلُ العَمَلَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ». قَالُوا: فَمَنِ المُنَاصِحُ للهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يبدأُ بحَقِّ اللهِ قَبْلَ حَقِّ النَّاسِ؛ إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا لِلدُّنْيَا، وَالآخَرُ للآخِرَةِ؛ بَدَأَ بِأَمْرِ اللهِ قَبْلَ أَمْرِ الدُّنْيَا»[1].

= وذُكِر مَعْروفٌ رَحِمَهُ اللَّهُ في مجلسه، فقال بعض جُلساء الإمام أحمدَ: لقد كان قصيرَ العِلْم! فالتَفَتَ إليه أبو عبدِ الله رَحِمَهُ اللَّهُ وقال: «وهل يُراد مِن العِلْم إلَّا ما وَصَل إليه معروفٌ؟!».

وكُلَّما ازدادَ العبدُ عِلْمًا بالله وبأمرِه، ازْداد خشيةً للرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولهذا صار أهلُ خشيةِ الله: هُم العلماء؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر:٢٨].

وتَقَدَّم أنَّ (**الخشية**): هي رُتبةٌ مِن الخوف تقتَرِن بالعِلْم والمَعرفة.

(١) إسنادُه صحيحٌ إلى أبي ثُمامةَ.

وتَقَدَّم أنَّ أهل العِلْم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى يُورِدُون في هذه الأبواب أخبارًا للاعْتِضادِ، كما جَرى عليه الإمام أحمدُ في كتاب «الزُّهد»، وتلميذُه أبو داودَ في كتاب «الزُّهد»، ووَكيعُ ابن الجَرَّاح في كتاب «الزُّهد»، وهَنَّادُ بن السَّرِيِّ في كتاب «الزُّهد».

ومِن هاهنا؛ أَوْرَد المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى هذا الأثرَ المَرْوِيَّ عن عيسَى - عليه وعلى نَبيِّنا الصَّلاة والسَّلام.

٥ - حَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: «العَمَلُ الصَّالِحُ: الَّذِي لَا تُرِيدُ أَنْ يَحْمَدَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ» (١).

٦ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ تَمِيمٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الرَّحَّالِ الحَنَفِيُّ، حَدَّثَنَا العَلَاءُ بْنُ السَّائِبِ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: «لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟!» (٢).

---

(١) إسنادُه ضعيفٌ.

وسَبَقَ أَنْ عَلِمتَ أَنَّ مِن شَرْطِ العَمَلِ الصَّالِح: أَنْ يكونَ خالصًا لله.

وحقيقة (الإخلاص) مُشتَمِلةٌ على هذا المعنى الَّذي ذُكِر عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وهو أَنْ («لَا تُرِيدَ أَنْ يَحْمَدَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»).

(٢) لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لا يَتَقَبَّل إلَّا الأعمالَ الَّتي تُقرَنُ بالتَّقوى؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

فإذا قَبِل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَلًا ولو كان قليلًا في الصُّورة، إلَّا أنَّه عند الله كثيرٌ.

قال عبد الله بنُ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لو أَعلمُ أَنَّ الله قَبِلَ مِنِّي ركعتين لقُلْتُ: إنِّي من أصحاب الجنَّة؛ ثُمَّ تَلَا قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]».

ويُشبِه هذا: ما جاء عن عبدِ الله بنِ المُبارك رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّه قال: «كم من عَمَلٍ كبيرٍ صَغَّرَته النِّيَّةُ، وكَم من عَمَلٍ صغيرٍ عَظَّمَتْه النِّيَّةُ». رواه أبو نُعَيمٍ الأصبهانِيُّ في «الحِلْية».

فَمَدار الأمر: عَلى إخلاص العبد في أعمالِه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس على أَقْدَارِها.

٧ - حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْـمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حَبَّانُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ غَزِيَّةَ، عَنْ حَمْزَةَ - مِنْ بَعْضِ وَلَدِ ابْنِ مَسْعُودٍ -، قَالَ: «طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ عِبَادَتَهُ وَدُعَاءَهُ للهِ وَلَمْ يُشْغِلْ قَلْبَهُ مَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ، وَلَمْ يُنْسِهِ ذِكْرَهُ مَا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ، وَلَمْ يُحْزِنْ نَفْسَهُ مَا أُعْطِيَ غَيْرُهُ» (١).

٨ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنِي عَمَّارُ بْنُ عُثْمَانَ الْحَلَبِيُّ، حَدَّثَنَا سَرَّارُ الْعَنَزِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: «الإِجَابَةُ مَقْرُونَةٌ بِالإِخْلَاصِ، لَا فُرْقَةَ بَيْنَهُمَا» (٢).

٩ - حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَزَّارُ، حَدَّثَنَا الْمُسَيَّبُ بْنُ وَاضِحٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: مَرَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِرَجُلٍ فِي يَدِهِ حَصًى يَلْعَبُ بِهِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ زَوِّجْنِي مِنَ

---

(١) يعني فلا يلتفِتُ في أعمالِه إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ؛ فَعَيْناه ترى شيئًا من المَخاليق لكنَّ قلبَه مشغولٌ بخدمة مولاه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ولذلك؛ قال بعض السَّلف: «كُنْ مع الحَقِّ بِلا خَلْقٍ، وكُنْ مع الخَلْق بلا نَفْسٍ».

ومعنى هذا: إذا عَمِلْتَ عَمَلًا لله عَزَّوَجَلَّ فأَفْرِدْه بالعَمَلِ، ولا تلتَفِتْ إلى المَخاليق، وإذا حصلَتِ المُشَاحَّة بينك وبين أحدٍ من الخَلْق في شيءٍ مِن مَطالِب الدُّنيا فَكُن مع هؤلاء بِلَا نَفْسٍ؛ فاهْضِم حَقَّ نَفْسِك.

وهذا كقول أبي العبَّاس ابنِ تيميَّةَ الحفيد: (العارف لا يُطالِب، ولا يُعاتِب، ولا يُغالِب)؛ يعني مَنْ كَمُل في قلبِه معرفةُ الله عَزَّوَجَلَّ لم يلتَفِتْ إلى هذا.

(٢) لا بأسَ بإسنادِه.

الحُورِ العِينِ، فَقَامَ عَلَيْهِ عُمَرُ فَقَالَ: «بِئْسَ الخَاطِبُ أَنْتَ! أَلَا أَلْقَيْتَ الحَصَى، وَأَخْلَصْتَ للهِ الدُّعَاءَ» (١).

١٠ - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الكِنْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ المَجِيدِ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ أَبِي وَاقِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: «كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ أَشَدَّ هَمًّا مِنْكُمْ بِالعَمَلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]» (٢).

---

(١) إسناده صالحٌ.

وفي معناه: الحديث الضَّعيفُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ الدُّعَاءَ مِن قَلْبٍ غَافِلٍ سَاهٍ**»؛ فإذا كان قلبُ العبد غافلًا عن دُعائه، كان ذلك نَقْصًا في حقيقة إقباله على الله عَزَّوَجَلَّ، كهذا الدَّاعي الَّذي كان يلعبُ بالحَصَى ويدعو: (اللَّهمَّ زَوِّجْني من الحُور العِين)؛ فلو كَمُل إخلاصُ الدُّعاء في قلبه لله عَزَّوَجَلَّ لَمَا اشتغل بِهؤلاء الحُصَيَّات عن مطلوبه.

(٢) وهذا كان دَيْدَان السَّلفِ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى؛ فقد كانوا يعملون الأعمال الصَّالحة، ثُمَّ يُلْقى عليهم الهَمُّ: (أَيَقبَلُها اللهُ - سبحانه - أَمْ لا يقبلها؟)؛ كما ذكره ابنُ أبي رَوَّادٍ وغيرُه.

وروى ابن جَريرٍ في «تفسيره» عند هذه الآية: أَنَّ بعض صُلَحاء أهل الكُوفة لَمَّا حضَرَتْه الوفاة جاءَه بعضُ خُلَصائِه يُسَلِّيه ويذكرُ له أعمالَه الصَّالحةَ يُعَدِّدها عليه، فَالْتَفَتَ إليه ثُمَّ قال: «فأينَ قولُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]». =

١١ - حَدَّثَنِي أَبُو مُسْـلِمٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَـامَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، قَالَ: سَـمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ (١) يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ العَمَلَ الحَسَـنَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ، أَوِ العَمَلَ لَا يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ؛ فَيَقَعُ لَهُ المَقْتُ وَالعَيْبُ عِنْدَ النَّاسِ حَتَّى يَكُونَ عَيْبًا، وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ العَمَلَ أَوِ الأَمْرَ يَكْرَهُهُ النَّاسُ يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ؛ فَيَقَعُ لَهُ المِقَةُ (٢) وَالحُسْنُ عِنْدَ النَّاسِ» (٣).

= فهذا قَيْدٌ عظيمٌ، لَمَّا وَعاه السَّـلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى كانت عِنايتُهم بأَمْرِ قبولِ العملِ أكثَرَ مِن عنايتِهم بعَملِ العمل.

كما أُثِرَ عنهم: أَنَّهم «كانوا إذا انْقَضَوا مِن صيام رمضانَ دعَوُا اللهَ سِتَّة أَشْهُرٍ أَنْ يقبَلَ منهم صيامَهم في رمضانَ».

(١) هو ابنُ يَزِيدَ النَّخعيُّ.

(٢) **المِقَةُ**: المَحَبَّة.

(٣) إسناده حَسنٌ.

والمعنى: أَنَّ مَنْ تَزَيَّنَ للنَّاس بعَمَلٍ مِن الأعمال للنَّاس شَـانَه اللهُ عندهم، ومَنْ لم يلتفِتْ إلى النَّاس في عَمَله - ولو شَـانُوه وذَمُّوه - فإِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُصَـيِّرُ له قبولًا عندهم؛ لأَنَّ الأمر ليس بأيدي النَّاس، وإِنَّما بأَيدي رَبِّ النَّاس.

وكثيرٌ من النَّاس - لا سَـيِّما في هذه الأزمنة الَّتي فُتِن فيها النَّاس بتَجَدُّد الحَوادث - يلتَفِتُون إلى أمور الإعلام، فيَعْتَنُون بها عِنايةً عظيمةً، وَيَنْسَـوْن أَنَّ مَدَار الأمرِ كُلِّه بِيَد الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا أَحبَّ عبده «**نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا** =

١٢ - حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو شِهَابٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ وَاسِعٍ، قَالَ: «إِذَا أَقْبَلَ العَبْدُ إِلَى اللهِ، أَقْبَلَ اللهُ بِقُلُوبِ العِبَادِ إِلَيْهِ»[(١)].

١٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ المَلِكِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ حَزْمٍ القُطَعِيِّ: عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عِتَابٍ اللَّيْثِي قَالَ: رَأَيْتُ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ: أَيُّ الأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟ قَالَ: «مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللهِ».

١٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ يَقُولُ: «عِنْدَ تَصْحِيحِ الضَّمَائِرِ تُغْفَرُ الكَبَائِرُ، وَإِذَا عَزَمَ العَبْدُ عَلَى تَرْكِ الآثَامِ أَتَتْهُ الفُتُوحُ»[(٢)].

= فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ»؛ كما صحَّت بذلك الأخبار عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فينبغي أَنْ يكون اهتمامُ العبد بِهذا الأمر أَعْظَمَ مِن اهتمامه بالدِّعاية لنفسه أو شَخْصِه أو أهل بلده؛ فإِنَّ الأمرَ كُلَّه بصِدْق الإقبال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما سيأتِي في أَثَرِ محمَّدِ بنِ واسعٍ التَّالي.

(١) إسنادُه صالحٌ.

وفيه تقرير المعنى المُتَقَدِّم: أَنَّ العبدَ إذا أَقْبَل بقَلْبِه على الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإِنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُقبِل بقلوب الخلائق إليه، ويكفيه اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجوهَ النَّاس.

(٢) إسناده ضعيفٌ. =

١٥ - حَدَّثَنَا الهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ رَبِّهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ الفِلَسْطِينِيُّ، عَنْ مَوْلًى لِابْنِ مُحَيْرِيزٍ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ حَانُوتَ بَزَّازٍ لِيَشْتَرِيَ مِنْهُ مَتَاعًا، فَرَفَعَ فِي السَّوْمِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَأَشَرْتُ إِلَيْهِ أَنَّهُ ابْنُ مُحَيْرِيزٍ، فَقَالَ: «اخْرُجْ؛ إِنَّمَا نَشْتَرِي بِأَمْوَالِنَا لَا بِأَدْيَانِنَا» (١).

١٦ - حَدَّثَنِي أَبُو هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الحَوَارِيِّ، حَدَّثَنَا المَضَّاءُ بْنُ عِيسَى الدِّمَشْقِيُّ، قَالَ: مَرَّ سُلَيْمَانُ الخَوَّاصُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ - وَهُوَ عِنْدَ قَوْمٍ قَدْ أَضَافُوهُ

= وفيه ما يُستنكَر؛ فإنَّ تصحيحَ الضَّمائر وحده لا يكفي في مغفرة الكبائر.

وقوله: («وَإِذَا عَزَمَ العَبْدُ عَلَى تَرْكِ الآثَامِ أَتَتْهُ الفُتُوحُ»)؛ يعني جاءه العَوْن من الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) فقد كانوا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى يكرهُون أَنْ يَخْتَصُّوا عن النَّاس بشيءٍ لأجل ما هُم عليه من الدِّيانة.

ولهذا؛ كانوا يزدَحِمُون مع النَّاس في المَوقف في عَرفاتٍ، لا يُشَار إلى أحدٍ منهم دون النَّاس بإشارةٍ يَتَمَيَّز بها.

وعَظُم تحذيرُهم مِن لباس الشُّهْرة، ومِشية الشُّهْرة؛ حَتَّى لا ينفردَ المرءُ عن غيره فيكونَ في ذلك عَطَبٌ له.

فكم مِن امرئٍ ابتدأ شيئًا لا على إرادة الشُّهرة، فما زال يتمادى به حَتَّى جَرَّه إلى الشَّرِّ.

وَأَكْرَمُوهُ - فَقَالَ: «نِعْمَ الشَّيْءُ هَذَا يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَكْرِمَةَ دِينٍ» (١).

١٧ - **حَدَّثَنَا** يَعْقُوبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حِبَّانُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا الأَوْزَاعِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: «يَصْعَدُ المَلَكُ بِعَمَلِ العَبْدِ مُبْتَهِجًا، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى رَبِّهِ قَالَ: اجْعَلُوهُ فِي سِجِّينٍ، فَإِنِّي لَمْ أُرِدْ بِهَذَا».

١٨ - **حَدَّثَنَا** يَعْقُوبُ، أَخْبَرَنَا حِبَّانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ الغَسَّانِيُّ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ المَلَائِكَةَ يَرْفَعُونَ عَمَلَ العَبْدِ مِنْ عِبَادِ اللهِ فَيُكَثِّرُونَهُ وَيُزَكُّونَهُ، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنْ سُلْطَانِهِ، فَيُوحِي إِلَيْهِمْ: إِنَّكُمْ حَفَظَةٌ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي، وَأَنَا رَقِيبٌ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ، إِنَّ عَبْدِي هَذَا لَمْ يُخْلِصْ لِي عَمَلَهُ؛ فَاجْعَلُوهُ فِي سِجِّينٍ**».

قَالَ: «**وَيَصْعَدُونَ بِعَمَلِ العَبْدِ مِنْ عِبَادِ اللهِ يَسْتَقِلُّونَهُ وَيَحْتَقِرُونَهُ، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، فَيُوحِي اللهُ إِلَيْهِمْ: إِنَّكُمْ حَفَظَةٌ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي، وَأَنَا رَقِيبٌ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ؛ فَضَاعِفُوهُ لَهُ، وَاجْعَلُوهُ فِي عِلِّيِّينَ**».

١٩ - **قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: بَلَغَنِي** عَنِ ابْنِ جَمِيلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَةَ بْنَ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ أَنَّ عَابِدًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبَدَ اللهَ فِي سَرَبٍ (٢) أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَكَانَتِ المَلَائِكَةُ تَرْفَعُ عَمَلَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَلَا يُقْبَلُ؛ فَقَالَتِ المَلَائِكَةُ: وَعِزَّتِكَ رَبَّنَا مَا رَفَعْنَا

---

(١) وهو في معنى الَّذي تَقدَّم، كَأَنَّه أَنْكَر عليه ذلك؛ إنْ كان أَمْرُ رعايتِه لأجل دينه؛ فقد كانوا يكرهون - كما تَقدَّم - أَنْ يَخْتَصُّوا عن النَّاس بشيءٍ.

(٢) (السَّرَب) بالتَّحريك: المَسْلَك الخَفِيُّ في الأرض.

إِلَيْكَ إِلَّا خَفَاءً، قَالَ: «صَدَقْتُمْ مَلَائِكَتِي، وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُعْرَفَ مَكَانُهُ» (١).

٢٠ - حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حِبَّانُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا رِشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ شَرَاحِيلَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ: «لَأَنْ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ قَدْ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]» (٢).

٢١ - حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ بَحْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عِمَارَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ كَثِيرٍ السُّلَيْمِيِّ، قَالَ: قِيلَ لِعَطَاءٍ السُّلَيْمِيِّ: مَا الحَذَرُ؟ قَالَ: «الاتِّقَاءُ عَلَى العَمَلِ أَلَّا يَكُونَ للهِ».

٢٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ شَقِيقٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الأَشْعَثِ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧] قَالَ: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ». قَالَ: «إِنَّ العَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا: لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا: لَمْ

---

(١) هذا نَوْعٌ أشار إليه جماعةٌ مِن أهل العِلم؛ منهم: أبو عبد الله ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: أَنَّ العَبْدَ يعمل العَمل في سِرٍّ، لكنَّه يُحِبُّ في نفسه أَنْ يَعرِف النَّاسُ مكانَه؛ فهو إذا قام شيئًا مِن اللَّيل أَحَبَّ أَنْ يذكُرَه النَّاس به ولو كان مُنفرِدًا، وإذا تَصدَّق بصَدَقة أَخْفاها أَحَبَّ أَنْ يُظهِرَها النَّاسُ!

فمِثل هذا حالُه كحال هذا العابد؛ لأَنَّه بمنزلة مَنْ رَاءى بعمله، لكنَّ رِيائَه ليس حَقِيقِيًّا، وإِنَّما حُكميٌّ؛ إذْ له حُكْم الرِّياء.

(٢) إسناده صالحٌ.

يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالخَالِصُ: إِذَا كَانَ للهِ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ» (١).

٢٣ - **حَدَّثَنَا** أَبُو مُحَمَّدٍ القَاسِمُ بْنُ هَاشِمٍ السِّمْسَارُ، حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ قُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: «مَنْ كَانَ ظَاهِرُهُ أَرْجَحَ مِنْ بَاطِنِهِ خَفَّ مِيزَانُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ كَانَ بَاطِنُهُ أَرْجَحَ مِنْ ظَاهِرِهِ ثَقُلَ مِيزَانُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» (٢).

---

(١) إسناده لا بَأسَ به.

وقد أَفَاض في شَرْح هذا الأثر: أبو العَبَّاس ابن تيميَّةَ الحفيدُ في مواضعَ مِن كُتُبه، ثُمَّ تلميذُه ابن القَيِّم، ثُمَّ حفيدُه بالتَّلمذة أبو الفَرَج ابن رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «جامع العلوم والحِكَم» وغيره.

وهو أَثَرٌ عظيمٌ؛ إذْ بَيَّن فيه الفُضَيْل بنُ عِياضٍ حقيقةَ إحسانِ العمل؛ **وهو أَنْ يُبنَى على رُكنين اثنين:**

✓ **أحدهما**: أَنْ يكون العمل خالصًا؛ بأَنْ يكون مَصْروفًا لله وحدَه لا شريك له.

✓ **والثَّانِي**: أَنْ يكون صوابًا على سُنَّة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بِدْعةَ فيه.

(٢) **لأَنَّ العِبْرة يوم القيامة ليست بأَوْزان الأبدان، وإِنَّما بأَوْزان حقائق الأعمال والقلوب.**

ولهذا؛ ثَقُلَ ابن مَسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الميزان مع دِقَّة سَاقَيْه؛ كما رَوى الإمام أحمدُ بسندٍ حسنٍ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، =

٢٤ - **حَدَّثَنِي** عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ زُبَيْدٍ، قَالَ: «مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ أَفْضَلَ مِنْ عَلَانِيَتِهِ فَذَلِكَ الْفَضْلُ، وَمَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ مِثْلَ عَلَانِيَتِهِ فَذَلِكَ النَّصَفُ، وَمَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ دُونَ عَلَانِيَتِهِ فَذَلِكَ الْجَوْرُ» [(١)].

= فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**».

فَثَقُل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الميزان مع خِفَّة جسده؛ لِمَا كان عليه من الأعمال الصَّالحة في باطِنِه الَّتي ثَقُل بِها باطنُه فَثَقَّلت ميزانَه.

(١) إسناده حسنٌ.

وقد بيَّن زُبَيْدٌ الياميُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ورَحِمه حال المرء مع سَريرته وعلانيته؛ **فَذَكَر أنَّ حَظَّ المرء منهما على مراتبَ ثلاثٍ:**

* **المرتبة الأُولى**: مرتبة الفضل؛ وهو أَنْ تكون سريرتُك أفضلَ مِن علانيتك؛ فإذا كانت دَاخِلةُ المرءِ في خفائه أَكْملَ وأَتَمَّ كان ذلك الفَضْل المَحْض.

* **والمرتبة الثَّانية**: مرتبة النَّصَف - وهو العدل -؛ وهو أنْ تستوي السَّريرة والعلانية.

* **والمرتبة الثَّالثة**: مرتبة الجَوْر والظُّلم؛ وهي أَنْ تكون السَّريرة دون العلانية؛ وهذا هو خشوع النِّفاق؛ الَّذي كان السَّلف رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى يستعيذون بالله عَزَّ وَجَلَّ منه؛ فيقولون: (اللَّهمَّ إنَّا نعوذ بك من خشوع النِّفاق؛ يُرَى الجسد خاشعًا والقلب لاهٍ ساهٍ).

٢٥ - **حَدَّثَنَا** عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الجُعْفِيُّ، عَنْ مَعْقِلِ ابْنِ عُبَيْدِ اللهِ الجَزَرِيِّ، قَالَ: «كَانَتِ العُلَمَاءُ إِذَا الْتَقَوْا تَوَاصَوْا بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ، وَإِذَا غَابُوا كَتَبَ بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ أَنَّهُ: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ كَفَاهُ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنِ اهْتَمَّ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ» (١).

---

(١) إسناده حسنٌ.

وهو أَثَرٌ عظيمٌ، **فيه فائدتان اثنتان:**

* **أولاهما:** أَنَّ («مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ كَفَاهُ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنِ اهْتَمَّ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ»).

* **وثانيهما:** عظيمُ عناية العلماء بِتَلَقِّي هذه الكلمات، والوَصِيَّةُ بِها، وكتابةُ بعضِهم إلى بعضٍ بِها؛ قِيامًا بما أَمَرَ الله عَزَّوَجَلَّ به من التَّواصي بالحقِّ؛ فَإِنَّ مِن صفات المؤمنين: أَنَّهم يَتَواصون بينهم بالحَقِّ؛ كما ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ذلك عنهم في سورة العصر.

وأَحَظُّ النَّاسِ بالتَّشَبُّه بالعلماء: هُم طَلَبَة العِلْم.

فمن الأدب اللّازم بين طَلَبة العلم: أَنْ يَتناصَحُوا، وأَنْ يَتَواصَوْا بالخير، وأَنْ يَحُثَّ بعضُهم بعضًا عليه، وإذا رأى أحدُهم مِن أخيه هَنَّةً أو زَلَّةً بَادَرَ إلى إصلاحِها مع سِتْرِها.

وإذا رأيتَ طُلَّاب العِلْم يتَنَاقرون تَناقُرَ الدِّيكةِ، وإذا رأى أحدُهم مِن أخيه زَلَّةً أشاعها وأذاعها = فَاعْلَم أَنَّهم لا يُفلِحُون.

وإِنَّما حُرِمَ أكثرُ النَّاس في هذه الأزمان العلومَ الشَّرعِيَّة والطَّريقة السُّنِّيَّة المَرْضِيَّة؛ لأَنَّ نُفوسَهم بِمَعْزِلٍ عن هذه الأخلاق الشَّريفة الَّتي كان عليها السَّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى.=

٢٦ - حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، عَنْ بِلَالِ بْنِ سَعْدٍ (١)، قَالَ: «لَا تَكُنْ وَلِيًّا للهِ فِي العَلَانِيَةِ وَعَدُوَّهُ فِي السَّرِيرَةِ» (٢).

٢٧ - حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، عَنْ شَيْخٍ، مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ: «يَا

= فينبغي لطالب العِلم أَنْ يُجاهِد نفسَه في هذا؛ فإنَّ الأمرَ شديدٌ، و«إِنَّ الحسدَ قد بِيعَ في الأسواق؛ فَاشْتَراه العلماء»، كما قال بعض الظُّرفاء.

والمعنى: أَنَّ جَريان التَّحاسُد والتَّقاطُع والتَّنافُر يكون كثيرًا بين المُنتسِبين إلى العِلْم، لكنَّ هؤلاء لَيْسُوا هُم طَلَبَة العِلْم والعلماء على الحقيقة، وإِنَّما هُم الواقفون مع صورة العِلم لا حقيقته؛ كما ذَكَر ذلك أبو الفَرج ابن الجَوزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «صَيد الخاطر».

(١) بلال بنُ سَعدٍ مِن أَعْيان الصَّالحين، وله وصايا نَفيسةٌ، أَوْرَد كثيرًا منها الحافظ النَّسئِيُّ في (كتاب المواعظ) من «السُّنن الكبرى».

وهذا الكتاب من «السُّنن الكبرى» لم يُوجَد، لكن تجدُ هذه الآثارَ في آخِرِ «تُحفة الأشراف»؛ حيث أَوْرَدها نَقْلًا عن بلالِ بنِ سعدٍ في أبواب المَراسيل والموقوفات.

(٢) إسناده صحيحٌ.

ومعنى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: («لَا تَكُنْ وَلِيًّا للهِ فِي العَلَانِيَةِ وَعَدُوَّهُ فِي السَّرِيرَةِ»)؛ يعني تُظهِر موالاةَ الله عَزَّوَجَلَّ بإقامةِ الطَّاعات والاستكثار من الحسنات، فإذا خَلَوْتَ في سَريرتِك بَارَزْتَ الله عَزَّوَجَلَّ بالمحاربة؛ بمواقعة المعاصي والاستكثار من السَّيِّئات.

ولا يكون الوليُّ وَلِيًّا حَتَّى تكون علانيتُه وسِرُّه لله جميعًا.

مَعْشَرَ الْمُسْتَتِرِينَ؛ اعْلَمُوا أَنَّ عِنْدَ اللهِ مَسْأَلَةً فَاضِحَةً؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر]»[1].

٢٨ - وَحَدَّثَنِي سُرَيْجٌ، حَدَّثَنَا الوَلِيدُ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ، يَقُولُ: «لَا تَكُنْ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِسَانَيْنِ؛ تُظْهِرُ لِلنَّاسِ لِيَحْمَدُوكَ وَقَلْبُكَ فَاجِرٌ»[2].

٢٩ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ العِجْلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: وَعَظَ الحَسَنُ يَوْمًا فَانْتَحَبَ رَجُلٌ، فَقَالَ الحَسَنُ: «لَيَسْأَلَنَّكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا؟»[3].

٣٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الحَسَنِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الأَشْعَثِ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: سَمِعْتُهُ: «خَيْرُ العَمَلِ: أَخْفَاهُ؛ أَمْنَعُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَأَبْعَدُهُ مِنَ الرِّيَاءِ»[4].

---

(١) وهذا أعظمُ واعظٍ ينبغي أَنْ يَعِظَ المرء به نفسَه؛ فإنَّه إنْ سَتَر خَلَّته عن المَخَالِيق، فإنَّها لا تُستَر يوم يُكشَف الحسابُ، ويُوضَع الميزانُ، وتظهر الخَفِيَّاتُ، وتَنْجَلي الأمور الغَيبيَّات؛ فينبغي للعبد أَنْ يكون التفاتُه إلى هذا المعنى أعظمَ من غيره.

ولأبي محمَّد ابن حَزْمٍ في كتابه «الأخلاق والسِّيَر ومُداواة النُّفوس» كلامٌ نافعٌ في هذا المعنى.

(٢) إسناده صحيحٌ.

(٣) يعني: لَيَسْأَلَنَّكَ أَأنت صادقٌ فيه أَمْ كاذبٌ؟

ولهذا كان السَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى يُخْفُون بكاءَهم وخَشيتَهم؛ كما سيأتي في بعض الآثار عن أيُّوبَ وغيره.

(٤) لا بأسَ بإسناده. =

٣١ - حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ مُطْعِمِ بْنِ المِقْدَامِ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ سَعِيدٍ الكَلَاعِيِّ، عَنْ نَصِيحٍ العَنْسِيِّ، عَنْ رَكْبٍ المِصْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ، وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَكَرُمَتْ عَلَانِيَتُهُ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ**» (١).

٣٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ: «كَانَ أَبُو وَائِلٍ إِذَا خَلَا بَكَى، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ إِذَا سَجَدَ: رَبِّ ارْحَمْنِي، رَبِّ اعْفُ عَنِّي، رَبِّ إِنْ تَعْفُ عَنِّي تَعْفُ طَوْلًا مِنْ قِبَلِكَ، وَإِنْ تُعَذِّبْنِي تُعَذِّبْنِي غَيْرَ ظَالِمٍ وَلَا مَسْبُوقٍ».

قَالَ: «ثُمَّ يَنْشِجُ كَأَشَدِّ نَشِيجِ الثَّكْلَى، وَلَوْ جُعِلَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَى أَنْ يَبْكِيَ وَأَحَدٌ يَرَاهُ لَمْ يَفْعَلْ» (٢).

= **وفيه فضيلة إخفاء العمل؛ لأجل أمرين اثنين:**

* **أَوَّلهما**: أَنَّ في ذلك مَنَعَةً من الشَّيطان؛ فإِنَّ الشَّيطانَ لا يَتَسلَّط على الإنسان في الأعمال الخَفِيَّة، وإِنَّما يَتَسلَّط عليه في أعمال العَلَن.

* **وثانيهما**: أَنَّه أَبْعَدُ عن الرِّياء؛ فإِنَّ أصلَ طَلَبِ الرِّياء: طَلَبُ رؤيةِ النَّاس أَنْ يَرَوْهُ فيحمدوه، وأَمَّا إذا كان المرء خاليًا بنفسه فإِنَّه لا يَتطَلَّع إلى نَظَر النَّاس.

(١) إسناده ضعيفٌ.

(٢) إسناده حسنٌ.

وفيه المعنى الَّذي سَبَق ذِكْرُه مِن أَنَّهم كانوا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى يُخْفُون بُكاءهم لئلَّا يكون مِن تَزَيُّن بعضِهم لبعضٍ.

٣٣ - حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدَةُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، قَالَ: حُدِّثْتُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَانَ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلْيَدْهُنْ لِحْيَتَهُ بِدُهْنٍ وَيَمْسَحْ شَفَتَيْهِ حَتَّى يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ لَيْسَ بِصَائِمٍ، وَإِذَا أَعْطَى شَيْئًا بِيَمِينِهِ فَلْيُخْفِهِ مِنْ شِمَالِهِ، وَإِذَا صَلَّى فِي بَيْتِهِ فَلْيُلْقِ عَلَيْهِ سِتْرَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ يَقْسِمُ الثَّنَاءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ»[1].

٣٤ - حَدَّثَنِي عِصْمَةُ بْنُ الفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، عَنْ دَاوُدَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حازمٍ يَقُولُ: «السِّرُّ أَمْلَكُ بِالعَلَانِيَةِ مِنَ العَلَانِيَةِ بِالسِّرِّ، وَالفِعْلُ أَمْلَكُ بِالقَوْلِ مِنَ القَوْلِ والفِعْلِ»[2].

٣٥ - حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: «بَكَى رَجُلٌ إِلَى جَنْبِ الحَسَنِ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَبْكِي إِلَى جَنْبِ صَاحِبِهِ فَمَا يَعْلَمُ بِهِ».

---

(١) إسناده حسنٌ.

لكنَّه من الأخبار الإسرائيليَّة.

ويشهد لقوله: («وَإِذَا أَعْطَى شَيْئًا بِيَمِينِهِ فَلْيُخْفِهِ مِنْ شِمَالِهِ»): ما ثَبَت في «الصَّحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»، فذَكَر منهم: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**».

(٢) يعني أَنَّ مَنْ صَلُحَ سِرُّه صَلُحَت علانِيَّته، ومَنْ ظَهَر صِدْقُه في فِعْله استبان صَدْقُه في قوله.

٣٦ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَاتِمٍ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حُرَيْثٍ العَبْدِيُّ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، قَالَ: «لَقَدْ أَدْرَكْتُ رِجَالًا كَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ رَأْسُهُ وَرَأْسُ امْرَأَتِهِ عَلَى وِسَادٍ وَاحِدٍ قَدْ بَلَّ مَا تَحْتَ خَدِّهِ مِنْ دُمُوعِهِ لَا تَشْعُرُ بِهِ امْرَأَتُهُ، وَاللهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُ رِجَالًا كَانَ أَحَدُهُمْ يَقُومُ فِي الصَّفِّ فَتَسِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدِّهِ لَا يَشْعُرُ الَّذِي إِلَى جَنْبِهِ».

٣٧ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الجُشَمِيُّ، حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، قَالَ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَتَعَبَّدُ عِشْرِينَ سَنَةً وَمَا يَعْلَمُ بِهِ جَارُهُ».

٣٨ - حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ، حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «كَانَ لَا يُعْرَفُ البِرُّ فِي عُمَرَ وَلَا ابْنِ عُمَرَ حَتَّى يَقُولَا أَوْ يَعْمَلَا» [(١)].

٣٩ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنِ الحَسَنِ، قَالَ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَعَبَّدُ عِشْرِينَ سَنَةً مَا يَعْلَمُ بِهِ جَارُهُ».

قَالَ حَمَّادٌ: «وَلَعَلَّ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي لَيْلَةً أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ فَيُصْبِحُ وَقَدْ طَالَ عَلَى جَارِهِ» [(٢)].

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) يعني قد استطالَ بعملِه على جارِه؛ فهو يُعجَب بِهذا العمل.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (أَنِينُ المُـذنِبِين أَحَبُّ إلى الله عَزَّوَجَلَّ من زَجَلِ المُغْتَرِّين)، **والمعنى**: أَنَّ إظهارَ العبدِ للافتقارِ والأسفِ عند صدور الذَّنب منه، أرفعُ رُتبةً وأَحَبُّ إلى رَبِّنا عَزَّوَجَلَّ - لِمَا فيه من إظهارِ العُبودِيَّة والفقرِ إليه - مِمَّنْ يفتخر بما قَدَّم مِن عَمَلٍ ويَغْتَرُّ.

٤٠ - **حَدَّثَنَا** خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الحَسَنِ، قَالَ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ القَوْمُ أَوْ يَجْتَمِعُونَ يَتَذَاكَرُونَ، فَتَجِيءُ الرَّجُلَ عَبْرَتُهُ فَيَرُدُّهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَرُدُّهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَرُدُّهَا، فَإِذَا خَشِيَ أَنْ يَفْلِتَ قَامَ».

٤١ - **حَدَّثَنَا** خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: بَكَى أَيُّوبُ مَرَّةً فَأَخَذْنَا بَقُّهُ[1]، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الزَّكْمَةَ رُبَّمَا عَرَضَتْ»، وَبَكَى مَرَّةً أخرى فَاسْتَبَنَّا بُكَاهُ؛ فَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْخَ إِذَا كَبِرَ مَجَّ»[2].

٤٢ - **حَدَّثَنِي** يَعْقُوبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حِبَّانُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ المُبَارَكِ، قَالَ: «أَخْبَرَنِي رَجُلٌ عَنْ أَبِي السَّلِيلِ: أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَوْ يَقْرَأُ فَيَأْتِيهِ البُكَاءُ فَيَصْرِفُهُ إِلَى الضَّحِكِ»[3].

٤٣ - **حَدَّثَنِي** يَعْقُوبُ، أَخْبَرَنَا حِبَّانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا المُعْتَمِرُ، عَنْ كَهْمَسِ ابْنِ الحَسَنِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ: «أَنَّ رَجُلًا تَنَفَّسَ عِنْدَ عُمَرَ كَأَنَّهُ يَتَحَازَنُ[4]، فَلَكَزَهُ عُمَرُ - أَوْ قَالَ: لَكَمَهُ».

---

(١) (بَقُّه): يعني كلامه؛ يعني أَنَّه تَكَلَّم بكلامٍ كثيرٍ حَتَّى يُعَمِّي عليهم.

(٢) يعني استَرْخَتْ أعضاؤه فلا يمكِنُه ضَبْطها؛ كأنَّه يعني أَنَّ هذا البكاء صَدَر منه مِن غير سببٍ مُعتَدٍّ به رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وإنَّما مُراده: هَضْمَ نفسه.

(٣) إسناده صحيحٌ.

(٤) يعني يُظهِر الحُزْن.

٤٤ - **حَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الحَسَنِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الأَشْعَثِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عِصَامٍ الرَّمْلِيَّ عَنْ رَجُلٍ، عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَ يَوْمًا - أَوْ وَعَظَ - فَتَنَفَّسَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ الحَسَنُ: «إِنْ كَانَ للهِ فَقَدْ شَهَرْتَ نَفْسَكَ، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِ اللهِ هَلَكْتَ».

٤٥ - **حَدَّثَنَا** خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الحَسَنِ، قَالَ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَكُونُ عِنْدَهُ الزَّوْرُ (١) فَيُصَلِّي الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ أَوِ الكَثِيرَةَ مِنَ اللَّيْلِ مَا يَعْلَمُ بِهَا زَوْرُهُ» (٢).

٤٦ - **حَدَّثَنَا** خَالِدٌ، وَعُبَيْدُ اللهِ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الحَسَنِ، قَالَ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَتَكُونُ لَهُ السَّاعَةُ يَخْلُو فِيهَا فَيُصَلِّي، فَيُوصِي أَهْلَهُ فَيَقُولُ: إِنْ جَاءَ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي فَقُولُوا: هُوَ فِي حَاجَةٍ لَهُ» (٣).

٤٧ - **حَدَّثَنِي** أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ المُؤْمِنِ أَبُو عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «كَانَ لِحَسَّانَ بْنِ أَبِي سِنَانٍ فِي حَانُوتِهِ سِتْرٌ، فَكَانَ يُخْرِجُ سَلَّةَ الحِسَابِ وَيَنْشُرُ حِسَابَهُ، وَيُصْعِدُ غُلَامًا عَلَى البَابِ وَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا قَدْ أَقْبَلَ تَرَى أَنَّهُ يُرِيدُنِي فَأَخْبِرْنِي، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي، فَإِذَا جَاءَ رَجُلٌ أَخْبَرَهُ الغُلَامُ، فَيَجْلِسُ كَأَنَّهُ عَلَى الحِسَابِ».

---

(١) هُم الضُّيوف الَّذين يَزُورُون الرَّجل.

(٢) إسناده صحيحٌ.

(٣) إسناده صحيحٌ.

ومعنى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: («فَقُولُوا: هُوَ فِي حَاجَةٍ لَهُ»)؛ يعني في طَلَبِ رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤٨ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ - يَعْنِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عِيسَى -، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: «كَانَ حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ يَحْضُرُ مَسْجِدَ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، فَإِذَا تَكَلَّمَ مَالِكٌ بَكَى حَسَّانُ حَتَّى يَسِيلَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ لَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ» (١).

٤٩ - وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الزَّرَّادُ، قَالَ: «رُبَّمَا اشْتَرَى حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ أَهْلَ بَيْتِ الرَّجُلِ وَعِيَالَه، ثُمَّ يُعْتِقُهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ لَا يَتَعَرَّفُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُعْلِمُهُمْ مَنْ هُوَ» (٢).

٥٠ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الطَّيِّبِ، مُوسَى بْنُ يَسَارٍ، قَالَ: «صَحِبْتُ مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَكَانَ اللَّيْلَ أَجْمَعَ يُصَلِّي فِي الْمَحْمَلِ جَالِسًا يُومِئُ بِرَأْسِهِ إِيمَاءً، وَكَانَ يَأْمُرُ الْحَادِيَ أَنْ يَكُونَ خَلْفَهُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ حَتَّى لَا يُفْطَنَ لَهُ» (٣).

٥١ - قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ قَالَ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَبْكِي عِشْرِينَ سَنَةً، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ مَا تَعْلَمُ بِهِ».

٥٢ - حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: تَكَلَّمَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ذَاتَ يَوْمٍ وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ إِخْوَانِهِ، فَصَحَّ

---

(١) إسنادُه لا بأسَ به.

(٢) إسناده ضعيفٌ.

(٣) إسناده صحيحٌ.

لَهُ مَنْطِقٌ وَمَوْعِظَةٌ حَسَنَةٌ، فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُلَسَائِهِ وَهُوَ يَحْذِفُ دَمْعَتَهُ، فَقَطَعَ دَمْعَتَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ امْضِ فِي مَنْطِقِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَمُنَّ اللهُ عَلَى مَنْ سَمِعَهُ أَوْ بَلَغَهُ، قَالَ: «إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّ فِي الْقَوْلِ فِتْنَةً، وَالفِعَالُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِ مِنَ الْقَوْلِ» (١).

٥٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ الْمِقْدَامِ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ نُصَيْرٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ (٢)، قَالَ: «كَانُوا (٣) يَكْرَهُونَ إِذَا اجْتَمَعُوا أَنْ يُظْهِرَ الرَّجُلُ أَحْسَنَ مَا عِنْدَهُ» (٤).

٥٤ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا فُضَيْلٌ، عَنِ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَطَبَ فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ خَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ أَصْلِحُوا آخِرَتَكُمْ يُصْلِحِ اللهُ لَكُمْ دُنْيَاكُمْ، وَأَصْلِحُوا سَرَائِرَكُمْ يُصْلِحِ اللهُ لَكُمْ عَلَانِيَتَكُمْ، وَاللهِ إِنَّ عَبْدًا لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ أَبٌ لَهُ إِلَّا قَدْ مَاتَ، لَمُعْرِقٌ لَهُ فِي

---

(١) ولهذا كان السَّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى إذا تكلَّم أحدُهم بكلامٍ نَظَرَ إليه في نفسِه بِعَيْن الحُسْن: قَطَعه؛ لِئلَّا يَغْتَرَّ بكلامِه دُونَ فِعْلِه.

(٢) هو ابن يزيدَ النَّخعيُّ.

(٣) إذا وَقَعَ في كلام إبراهيمَ النَّخَعيِّ: «كانوا يكرهون»: فهو يريد أصحابَ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ كعَلْقَمةَ بنِ قَيْسٍ، ومَسْرُوقِ بن الأَجْدَعِ، والأَسْوَدِ بن يزيدَ؛ نَصَّ على هذا جماعةٌ؛ منهم: العِراقيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإمام الدَّعوة في «كتاب التَّوحيد»، والشَّيخ سليمانُ ابن عبد الله في «تَيسير العزيزِ الحَميد» في (بابِ ما جاء في الرُّقى والتَّمائم).

(٤) إسناده حسنٌ.

المَوْتِ، كَمَا يُقَالُ: لَمُعْرِقٌ فِي الكَرَمِ، أَيْ لَهُ عِرْقٌ فِي ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ» (١).

٥٥ - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَرِيرٌ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ أَبِي العَالِيَةِ قَالَ: اجْتَمَعَ إِلَيَّ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: «يَا أَبَا العَالِيَةِ؛ لَا تَعْمَلْ عَمَلًا تُرِيدُ بِهِ غَيْرَ اللهِ فَيَجْعَلَ اللهُ ثَوَابَكَ عَلَى مَنْ أَرَدْتَ، وَيَا أَبَا العَالِيَةَ؛ لَا تَتَّكِلْ عَلَى غَيْرِ اللهِ فَيَكِلَكَ اللهُ إِلَى مَنْ تَوَكَّلْتَ عَلَيْهِ».

٥٦ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ وَاقِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نُعَيمٍ، عن ابن مُحَيْرِيزٍ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ دُعِيَ إِلَى وَلِيمَةٍ، فَلَمَّا أَكَلَ وَخَرَجَ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَحْضُرْ هَذَا الطَّعَامَ»، قِيلَ لَهُ: لِمَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَظُنُّ صَاحِبَكُمْ لَمْ يَعْمَلْهُ إِلَّا رِيَاءً» (٢).

---

(١) إسناده صحيحٌ.

(٢) وهذا آخر التَّقرير على كتاب «الإخلاص والنِّيَّة» للحافظ ابن أبي الدُّنيا رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

وَلْيَحرِصْ طالب العِلْم على أَنْ يكون في مَقْروءاته على شيوخه ومُطالعاته بنفسه: النَّظَرُ في كُتب السَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ المُصنَّفة في الزُّهد والرَّقائق؛ فإِنَّ انتفاعَه بِها عظيمٌ.

وإذا قَطَع المرءُ نفسَه عن هذه الكُتب: فإِنَّه يُضِرُّ بقلبه؛ فإِنَّ العِلمَ بنفسِه إذا سُلِبَ الخشيةَ: رَجَع على قلب صاحبِه بالقَسوة، بخلاف العِلم المُقترِنِ بخَشية الله عَزَّوَجَلَّ وخوفِه وتعظيمِه.

وكان دَأْبُ علماء الدَّعوة الإصلاحِيَّة في نَجْدٍ: إقراءُ كُتُب الزُّهد، ولا سِيَّما كتاب =

= «الزُّهد» للإمام أحمدَ ابنِ حنبلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

ولو عَرَضْتَ هذا على كثيرٍ من طَلَبة العِلْم اليومَ لَرَأَوْا أَنَّ في هذا اشتغالًا بأمورٍ واضحةٍ بَيِّنةٍ! وكُلُّ هذا مِن الغَفلة عن أعمال القلوب، كما سبق بيانه مُطَوَّلًا في دَرْس «التُّحفة العراقِيَّة في الأعمال القَلبِيَّة».

نسأل اللهَ أَنْ يرزقنا جميعًا الإخلاصَ في البواطن والظَّواهر، وأَنْ يُكَمِّل لنا السَّرائر والعلانية، وأَنْ يجعلَنا من عباده المُخلِصِين المُخلَصين، وأنْ يَتَولَّانا في الصَّالحين.

والحمد لله ربِّ العالمين.

وصَلَّى الله وسَلَّم على عبده ورسوله محمد وآله وصَحْبه أجمعين.

تَمَّ إقراء الكتاب فِي مَجلسٍ وَاحِدٍ
بعد المغرب ليلة الأربعاء التَّاسع من جمادى الأولى
سَنَةَ أربعٍ وعشرين بَعْدَ الأَرْبَعِمائَةِ وَالأَلْفِ
فِي جامع الإيمان بحي النَّسيم بِمَدِينَةِ الرِّياض













